احاديث في اللغة

العربية ماشية مع الزمن

— ٣ —

٤ — تجيلت الأجيال

الجيل الصنف من الناس كما في الصحاح وغيره من كتب اللغة والجيل القرن كما في المصباح والتاج ، وهذا المعنى له مولد ، وهو في كلام كثيرين من العلماء مثل ابي العلاء وابن حزم وابن تيمية وابن عربي وابن خلدون وغيرهم

اشتق المولدون من (الجيل) فقال المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر (ج ١ ص ٦٢) :

« تجيلت الاجيال » وقد استجاد العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي هذه اللفظة فنتشها من (المروج) واستعملها في احدى مقالاته في الضياء (السنة ٧ ص ٣٥٧) فقال كما قال المسعودي (تجيلت الأجيال) واللفظة مولدة ، ولم ترد في معجم ، وقد رضيها ولم ينكرها في حين انه هو القائل في مجلته (الضياء السنة ٨ ص ٢٩٢) :

« ... وحجتهم في هذا الأخير ان ما نجده بين الواح المعجمات . ليس هو اللغة كلها وانه قد بقي شيء كثير يؤخذ من تضاعيف كتب الأدب والتاريخ وغيرها ، فاذا وجد ثمة من اللفظ ما لم يذكر في كتب اللغة لم يكن عدم ذكره دليلاً على انه ليس مما نطقت به العرب لجواز ان يكون مما سقط عن اصحاب المعجمات . وهي كما ترى من غريب الدعاوي بعد ما عُلم من حرص الذين جمعوا اللغة على الاحاطة بجمع الفاظها حتى استقرَوا لها أشعار العرب واستظهروا بها على إثبات ما نقلوه ولم يقنع بعضهم حتى رحل الى قبائل البادية ، وأقام بينهم زمناً يلتقط اللغة من افواههم ... »

وقول الشيخ هو — كما ترى — من غريب الأقوال بعد ما استيقن ان كتب اللغة لم تحو جميع اللغة ، وقد فاتها شيء كثير من كلام العرب بل اكثر من الكثير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا ديوان المفضليات وديوان الحماسة[١] ، وهما أشهر من الشمس ومن القمر فات المعجمات المطبوعة التي نعرفها كثير من الفاظها

وقد علمنا ان عربانيا[٢] من الاوروبيين وضع معجماً خاصاً لكلمات في ديوان الفرزدق لم تقيدها كتب اللغة[٣]

وفي (ذيل أقرب الموارد) للعلامة الشيخ سعيد الشرتوني الفاظ كثيرة لم ترد في المعجمات جلبها من دواوين جمة ، منها ديوان الأخطل وكنت نشرت مقالة منذ مدة ، ذكرت فيها (التزمين) . وزمّنه : كتبه في ديوان الزمني ليعذر عن الجهاد ، وهذه اللفظة لم تجئ في معجم نعرفه ، وقد وردت مرتين في خبر في (ذيل الامالي) ص ٧٠ أرويه هنا : « ... ابن زربق من بني لام عن ابيه قال : كان رجل منا يقال له عُمرام بن المنذر قد أدرك الجاهلية وأدرك عمر بن عبد العزيز (رضي الله تعالى عنه) فدخل عليه [ليُزمّن] فقال له عمر : ما زمانتك ؟ فقال :

وو الله ما أدري أأدركت أمة على عهد ذي القرنين ام كنت أقدما

متى تنزعا عني القميص تبينا جناجن لم يكسين لحماً ولا دما

فقال عمر : ويحكم ! دعوا هذا [وزمّنوه] فانه لا يدري متى ميلاده[٤] »

ولو وقى الدهر لنا (البارع) لأبي علي القالي ، وهو كتاب « يحتوي على مئة مجلد لم يصنف مثله في الاحاطة والاستيعاب[٥] » ووقى غيره من كتب اللغة

(١) قال التبريزي في شرح الحماسة : واشعارهم كثيرة والمختار منها ما اختاره أمراء الكلام وعلماء النظام ، ومن أجود ما اختاروه من القصائد المفضليات ومن المقطعات الحماسة . وقال الزمخشري في الأساس : لم يجمع في المقطعات مثل ما جمع ابو تمام ولا في المقصدات مثل ما جمع المفضل

(٢) في شرح أدب الكتاب لموهوب الجواليقي ص ١٤٨ : اذا نسبت رجلاً الى انه يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت رجل عرباني . ومثل ذلك في كتاب الف باء لأبي الحجاج البلوي [ج ١ ص ٧٣] واطلاق العرباني على عارف العربية من القوم خير عندي من المستشرق ، ولمجمعنا العلمي الرأي الأعلى

(٣) في مقالاتي [خليل مردم بك وكتابه في الشاعر الفرزدق] في الرسالة ذكرت بعض الفاظ لأبي فراس همام لم ترد في المعجمات . (٤) وروى هذا الخبر السجستاني في كتابه (أخبار الأوائل)

(٥) روى القول ياقوت في (ارشاد الأريب) في سيرة اسماعيل بن القاسم القالي ، وقائله هو الشيخ الامام ابو محمد العربي ، وكتاب (البارع) هذا لم يعثر الا على جزء واحد منه و نشره العرباني (فلتن) ومنه نسخة في دار الكتب المصرية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لوجدنا تلك اللفظة وألوفاً من أمثالها فيه وفيها قال السيوطي في (المزهر) :

« ... وقد ذهب جل الكتب في الفتن الكائنة من التتار وغيرهم ، بحيث ان الكتب الموجودة الآن في اللغة من تصانيف المتقدمين والمتأخرين لا تجيء حمل جمل واحد ... »

ومن الإساءة الى العلماء المتقدمين واجتهادهم وعنائهم ومن الجور الجائر ان نلومهم اذ لم يستوعبوا في مصنفاتهم الفاظ العربية كلها جمع ، فكل قد جمع ما استطاع جمعه او ما رأى إيراده في كتابه ، وفي معجم ما ليس في آخر ، وكافأ الله كل من خدم العربية في كثير أو قليل

هذه اللفظة المسكين (التعيس) التي خطأها الشيخ ابراهيم اليازجي وخطأ جمعها (التعساء) اذ لم يجدها في مثل اللسان والتاج (الضياء ١ ص ٣٢٤) قد وجدتها في جمهرة اللغة (ج ٢ ص ١٦) قال ابن دريد :

« التعس : العثر ، اتعسه الله اي كبه واعثره ، والرجل تاعس وتعس وتعيس : ووجدت اللفظة في (رسالة الغفران) لابي العلاء ص ٨٠ في هذا البيت من قصيدة »

حتى اذا صارت الى غيره عاد من الوجد بجد تعيس

وقد رأى الاستاذ أسعد خليل داغر الشيخ اليازجي قد غلطها فغلطها (تذكرة الكاتب ص ١٣١)

* * *

٥ — كيّف

لم يكن في العربية الأولى الا هذا الحرف (كيف) ثم قال المحدثون : كيّف وتكيّف وكيفية

جاء في (النهج) : ما وحّده من [كيّفه] ولا حقيقته أصاب من مثّله

وقال : وإنك انت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهب فكرها [مكيفاً] ولا في رويات خواطرها محدوداً مصرفا

وفي التاج : « وقول المتكلمين في اشتقاق الفعل من كيف : كيفته فتكيف فانه قياس لا سماع فيه من العرب . ونص اللحياني : فأما قولهم : كيّف الشيء فكلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مولد (قلت) : فعنى بالقياس هنا التوليد ، قال شيخنا [1] : او أنها مولدة ولكن اجروها على قياس كلام العرب »

قلت : نعم ، هي مولدة ، ولم تسمع من العرب الأول . والأمر كما قال شيخ الزبيدي . ومثل التكيف والكيفية الازل والازلية فانها من لم يزل . وقدجاء في النهج :

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته . وفيه : ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد ابطل أزله

قال اللسان : وذكر بعض أهل العلم ان اصل هذه الكلمة قولهم للقديم ، لم يزل ، ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا بالاختصار فقالوا : يزلي ، ثم ابدلت الياء الفا لأنها أخف فقالوا : أزلي وفي الجمهرة والأساس ، والقاموس والتاج ، والمزهر وشفاء الغليل والكليات بحث في هذه اللفظة . ولقد مشى (الازل) في الدنيا غير عابىء بولولة المخطئين من بعض اللغويين

* * *

٦ — التطور

ذكرت الفعل (تطور) في مجلتنا هذه في الجزء (٩) من المجلد (١٣) وفي الرسالة ٣٤٧ السنة (٦) وأوردت عبارات في (الطبقات الكبرى) للسبكي ومقدمة ابن خلدون وكليات ابي البقاء و (البدر الطالع) للشوكاني جاء فيها (التطور) وفعله

---

(١) ذكره صاحب التاج في مقدمة كتابه قال : ومن أجمع ما كتب عليه [على القاموس] مما سمعت ورأيت شرح شيخنا الامام اللغوي ابي عبد الله محمد بن الطيب بن محمد الفاسي المتولد بفاس سنة ١١١٠ والمتوفى بالمدينة المنورة سنة ١١٧٠ وهو عمدتي في هذه الفن والمقلد جيدي العاطل بحلى تقديره المستحسن ، وشرحه هذا عندي في مجلدين ضخمين

(قلت) لم يزل في الأقطار المغربية خير كثير ، جانا بالأمس محمد بن الطيب هذا ، وطلع علينا في المشرق في هذا العصر الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي ، وقد كان الأستاذ الامام وحجة الاسلام يرجعان اليه في مشكلات لغوية ، وهو القائل في الميمية :

سيكفيني المفتى اذا اعتاص مشكل تمنع كالأروى على طودها العصم
فمصم اللغات كنت انزلها له اذا اعتاصت ارواها على كل ذي فهم

وهي قصيدة طويلة أوردها في أول مؤلفه (الحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية ...)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما قلته في الرسالة : « الألفاظ العربية قسمان : قسم نبت في (الجزيرة) في الجاهلية وقسم نشأ فيها وفي غيرها من البلاد الاسلامية في وقت (الحضارة العربية) وكتب اللغة المعروفة بالمعجمات حرصت على تقييد القسم الأول ، والقسم الثاني (اي جل الكلمات العربية) انما هو في مؤلفات العلم والأدب والمصنفات الخاصة ، وهو ينتظر معجماً عاماً شاملاً ينتظمه »

ومما اذكره هنا طرفة ان الأستاذ اسعد خليل داغر لم يقبل (التطور) تذكرة الكاتب ص٦٢ وقبله بل قبل التطورات ... العلامة الشيخ ابراهيم اليازجي الضياء السنة ٧ ص ٣٥٧ قال : « ... وبقي وراء ذلك من النوازل الكونية والحوادث العمرانية و[تطورات] الانسان في الصناعة والسكنى والمعاش وسائر أحوال المدنية مما استغرق مئات كثيرة من القرون — ما سُدل دونه حجاب الغيب ، وطوي بين تضاعيف الأيام » واليقين ان لو آنس الأستاذ داغر اللفظة في (الضياء) ما كان انتقد ...

وهذه الكلمات المولدات السابقات الست اوردتها نموذجات ، ولو جيت اطول البحث لسردت فيه من أخواتها مئات بل اكثر من المئات

* * *

اختم هذه الأحاديث بقول من أقوالي في العربية

[إنها صنع الله ، إنها لغة القرآن ! إنها اللغة العربية ، إنها ذات التعاجيب ، وذات الأمداد في اللفظ والاسلوب ، وإنها الينبوع ذو الماء العد لاالضحضاح يتوارى بعد قليل ولا الثمد . وانها ذات المال الجور ، والعساكر من الوفر ، والمرء معطاء اذ المال دثر . وقد استنجد بها قومها يوم طلعت عليهم علوم الروم وآداب الفرس فطارت اليهم المنجدات زرافات زرافات . وهذه آثار النجدة قد طبقت الآفاق

أي علم من العلوم ناداها فما لبته ؟

أي فن من الفنون دعاها فخذلته ؟

أي مبحث من المباحث اللطيفة الدقيقة قال لها : يا عربية ، وضحيني ، بينيني ، نوريني فما وضحته وما نورته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في أي وقت نُدبت فما انتدبت وتقاعست ؟

في أي وقت استرفدت فتلكأت أو قرّطت يوماً على مسترفد] .

انها اللغة العربيـة المضرية المعرّبة [1] المشتقة المتصرفة المتينة ذات القوة والسائرة مع الزمان

محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) المعربة التي تعرب الكلمة والقول والقائل وكم عربت العربية من الكلمات والمقالات والناس . ومن عربته ونطق بلسانها فهو من أبنائها . وان جاء مثل نور الدين وصلاح الدين قعد في العربية والدين مع الخلفاء الراشدين في مرتبة واحدة ، وان طلع كنظام الملك كاد يفضل المأمون وعبد الملك .

وفي كتاب (الوحي المحمدي) تأليف الامام حجة الاسلام (رحمه الله ورضي عنه) كلام أكتبه ليعقله كل عربي ويستظهره .

« لقد كان النبي (ﷺ) ينكر على المسلمين كل نوع من أنواع التفرق الذي ينافي وحدتهم وجعلهم أمة واحدة ... وكان يخص بمقته وانكاره التفرق في الجنس النسبي او اللغة ، أما الأول فمشهور ، وأما الثاني فيجمعه مع الأول الشاهد الآتي . » ثم ذكر خبراً رواه الحافظ ابن عساكر جاء فيه :

« يا أيها الناس ، ان الرب واحد ، والأب واحد وان الدين واحد ، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وانما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي » ثم قال الامام : « أرأيت لو ظل المسلمون على هذه التربية المحمدية أكان وقع بينهم من الشقاق والحروب باختلاف الجنس واللغة كل ماوقع وأدى بهم الى هذا الضعف العام ؟ »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net